



الإسلام تجاه تحديات العصر

للدكتور حسن صعب

منشورات دار الآداب - بيروت

معنى الإسلام السرمدي « الذي لا يتغير خلال تغيرات الحياة التي لا تنتهي » . « يدعو لإحلال العقل والافتقار المحل الذي اراده الله في فكر الإنسان وسلوكه » ، راجيا استئناف الحوار بين الله والإنسان ، وبين الإنسان وأخيه ، وبين طلاب الحقيقة أينما كانوا في أي زمان ومكان . » .

في الفصول الثلاثة الأولى من الكتاب : « الإسلام تجاه تحديات الحياة العصرية » و « الإسلام ثورة اجتهادية دائمة » و « الفارابي أو ثورة العقل الإسلامي في سبيل السعادة » يعرض لجوهر الإسلام ، وجوهر الحياة العصرية ، والتحدي الأكبر الذي تواجه به الحياة العصرية الإسلام . فروح الإسلام الهية ، وطابع حضارته دينية . وروح الحضارة الحديثة عقلاني ، وطابعها علمي . والخطورة في كون الحضارة الحديثة كونية ، فهي حضارة كل انسان شاء أم أبى ، خطر الذرة يهدد الجميع ، وفائدة الكهرباء والمذيع تعم الجميع .

لذلك يرجع الى القرآن الكريم ، ويستجلي صورة الانسان فيبه فهو خليفة الله على الارض . وبالتالي على الانسان المسلم ان يدرك حقيقة اسلامه بعمق لينطلق منها . فالاسلام ثورة اجتهادية دائمة تستنير بالعقل الذي يهدي ، ويرفع الانسان الخليفة لسوية المهمة . وبذلك يزول التحدي بين الاسلام والحضارة الحديثة . لان معياناتها من صنع الانسان . « والانسان الموحد المسلم خالق » ، لانه الانسان المتخلاق باخلاق الله . ولكنه انسان خالق بحرية ومحبة ، وعدل ورحمة . « (ص ١٠) .

وفي الفصول الاربعة التالية : « من الثورية السياسية الى الثورية الروحية » و « الثورية غائية نظامية » و « من الثورية العنيفة الى التناوبية النظامية في الحكم » و « الديمقراطية الحقيقية تجسيم لقيم الاسلام الروحية والخلقية » ينطلق المؤلف من فكرة الثورية ، ويتوقف مع ثورية القرن العشرين ، هذه الثورية الكونية التي تتناول جميع وجوه حياة الانسان بما قدمته من مواصلات وطاقة نووية ومخترعات اخرى ، ويرى انها لا تزال ناقصة ، وينبغي لكمالها ان تمتد الى نفس الانسان وحياته . لان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم . وان الثورية النفسية التي توصل الانسان لادراك قيمته كإنسان مستخلف في الارض ، تجعله يعروي عن غيه ، ويشوب لرشده ، ويوجه عقله في سبيل صالحه لا في سبيل تدمير نفسه ووجوده ، وكأنه يتساءل مع النبي :

« وكانا لم يرض فينا برب الدهر حتى اعاناه من اعانا ؟ .. »

ويرهن ان الثورة ليست الحادا ، فالاسلام ثورة في حينه وفسي كل حين . والاسلام ايمان بالله وانطلاق عملي نحو الكمال الانساني . « وما دام الانسان ، كذات حرة وخلقة ، هو قاعدة الثورية وغايتها ، فان الاعتبار الانساني يجب ان يظل مرجحا فيها على اي اعتبار اخر . هذا هو منطلق الثورية الاصلية وهذا هو جوهر الحديث . « وهو جو قوامه الانسانية والعقلانية والعلمية . وهو الجو الذي يحمل على الاعتقاد بان نظاما افضل يمكن ان ينبثق من الثورة المتفجرة . « (ص ١٠١) .

« الإسلام تجاه تحديات الحياة العصرية » . تحد واغراء وذهول على صعيد ابداعي يلتقي فيه الخالق والمخلوق . لماذا يتحدى وقتك هذا الكتاب ؟ لماذا ينتزعك ، باغراء لا دافع له ، من دوامة انهماكك ؟ لماذا يذهلك عن كل شيء لشدة ما يركز لك في كل شيء ؟ ...

لعل ذلك يرجع الى ما اودعه مؤلفه من أسئلة واجوبة ، اسئلة انسانية ، سألها الانسان الفابر ، وسألها الانسان الحاضر ، وسيسألها انسان المستقبل . واجوبة انسانية تتفاوت في قدرتها على الاقتناع . الكتاب حوار ممتع بين امس الانسان ويومه ، بين وجوده وغيبه . احياء للرؤى المستلهم الباني ، وتجسيد للرفض المتجاوز الهادم . انه رحلة فكرية تطل بالعقل على افاق الابن والتمنى . فكان مؤلفه « رائد فضائي » ، يرتفع حتى تتلاشى الحدود المكانية والزمانية ، ويبدو له الانسان انسانا لا غير ، صورة الله ، خليفة الله ، الانسان الاسلام ، انسان الرحمة والمحبة .

قدم المؤلف كتابه في عشرة فصول ومقدمة قال فيها : ان فصول كتابه « فروع متعددة لاصل واحد . وتتبع كلها من معين واحد ، هو معين الايمان بالاسلام ، والاعتقاد بقدرته على ان يواجه تحديات الحياة العصرية بالروح الخلافة نفسها التي جابه بها تحديات اخرى منذ نشأته حتى اليوم . « (ص ٥) .

« الإسلام نظام ونسق للحياة » . والحياة العصرية تدمر كل ما بناه الماضي ، حتى المعتقدات الفكرية ، حتى الايمان بالله ، لم يعد موضوع بحث في مختبرات الطاقة النووية ، ومصانع الاسلحة الحديثة . القربي والشرقي التقيا على رفض الماضي ، بكل نظمه .

« قاعدة الاسلام الازلية هي الاعتقاد بوجود الله الذي لا يتغير بتغير الزمان والمكان » . وكل ما حولنا اليوم يتحدى هذه الحقيقة . حتى الواقع الإسلامي نفسه ، يتحداها ، فللاباء دينهم ، وللبناء دينهم . لكل من الجيلين عالمه . « فايهما عالم الغد » ؟ ؟

يجمل المؤلف رأيه بالعالمين ، ليخلص الى الجواب المنقذ « فعالم الاباء عالم فضائل ورتائل قديمة . وعالم الابناء عالم فضائل ورتائل جديدة » . اما الجواب فكامن في « معنى الاسلام السرمدي لانه عالم حقائق وفضائل لا يتغير جوهرها وان تغيرت صورها » .

من هذا العالم ، عالم الاسلام ، عالم الحقائق والفضائل ، ينطلق في فصول كتابه ، بمنهجية مؤلمة عالمة ، فيدعو باخلاص وصدق « لتفهم

وعد به الاسلام منذ اربعة عشر قرنا . ولعل الوقوف قليلا ، مع قوله تعالى « سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم » . يوضح مذهبنا فسي فهم الاسلام ، ويركز اشعة الكتاب في محرقها .

ففي مختلف اتجاهات العلم الحديث ، آيات بينات لعظمة المهندس الاكبر .. فمن اكتشاف اسرار الارض وما تتألف منه من ذرات . الى ارياد اجواء الفضاء وما يسبح به من اجرام ربما كبر اصغرها ارضنا عشرات المرات .. الى الافاق الجديدة التي اكتشفها العلم بجسم الانسان ونفسه فضلا عن مكتشفاته بجسم الارض وجسم الفضاء .

ويشهد التخصص المتناهي ، هذه الايام ، بالدقة العجيبة التي تنظم دقات القلب . وترجم الاحساس والادراك . كل المعطيات الحديثة، حتى ابعدها ايقالا في المادية ، ليس الا براهين قاطعة على صدق الرؤى القرآنية . وما سيحي بعد ذلك من عجائب الكشوف سيكون اكثر تعميقا لايمان المسلم الانسان الذي ادرك انه خليفة الله على الارض ، يسعى لمثاله بحركة متواصلة ليلبغ الغاية ، ليكون لائقا بما رشح له . كما يبرهن للمحتجين الحقيقة .

والكتاب دعوة لتفهم الاسلام بحقيقته ليكون رائد الحضارة الحديثة وملهمها لا عدوها .. لتكون الحضارة الحديثة ، بنت العقل ، من ثماره . لانه المحرض الملح لاولي الالباب منذ مئات السنين ليكونوا انفسهم ، لينتهوا بعقولهم ، ليدركوا رسالتهم ، ليحققوا آيات ربهم في الافاق وفي انفسهم ، ليفحموا الملحدن الذين احتجوا عندما جاء الاسلام، وما يزال احتجاجهم قائما ... حتى حين ...

٢ - الملاحظة الثانية :

المؤلف يلهم الانسان بكتابه . يحركه للتفكير بنفسه . يدفعه للتأمل بعاله . يضعه امام المسئولية الكبرى ، مسئولية القيام بالواجب . مسئولية العقل الذي يحل المشاكل . وكيف لا يتحرك الانسان الحديث بعقله وهو ثمرة تفكير خمسة الاف عام ??

انه اقدر من سابقه على تجاوز القرية والمدينة والامة التي

وهو يخالف المفاهيم المختلفة للانسان ، التي تجعله بهيمة كالانعام، او عبدا للفريزة الجنسية كما يرى فرويد ، وبالتالي تفقد الانسان خصائصه الجوهرية التي تجعله جديرا بالثورة من اجله . ويهيىبالانسان ان ينطلق من مفهوم حقيقي لنفسه ، وللتغير ، وللنظام ، لانها المنطلقات الفكرية الرئيسية للثورة الاصيلية ، و « هي التي تميزها من العنفية الاضطرابية الدائرية » . (ص ١٠٤) .

واي مفهوم اروع واجمل من مفهوم الدين للانسان، فهو في التوراة صورة الله ، وهو في القرآن خليفة الله على الارض . وحري بمثل هذا الانسان ان يدع الثورة العنفية الى التناوبية النظامية في الحكم . لان ذلك وحده عنوان انتصار العقل .

والعقل يمنح الانسان تقيما روحيا تنجلي به الديمقراطية الحققة . « والديمقراطية بقدر ما تعني الحرية هي هذه الفرصة الوحدوية للتحقق الذاتي الفردي من خلال التحقق العام » (ص ١٢٥) . وهي في نظر المفكرين المثاليين والماديين تجسيم للحرية والعدالة والاخوة والمساواة . (ص ١٢٨) . وهدف المسيحية والاسلام احداث التفسير النفسي والسلوكي والحياتي في شخصية الانسان ، الذي لا يكتمل بدونه سلوكه الديمقراطي . و « هذا لقاء اساسي بين الدين كما نعتقده والديمقراطية كما نريدها » . (ص ١٤١) .

ويتفاعل ، على الرغم من البعد الشاسع بين هذه القيم الروحية وبين الواقع السياسي ، لانه يرى في التوتر الروحي الناشئ عن وعي الانسان للهوة بين مثله الاعلى وواقعه ، يرى في ذلك حافسزا قويا للاقترب من المثل الاعلى .. ولا ضير من واقعنا ، « فالحياة هي الجهد الخلاق المتواصل في سبيل الاقتراب من هذا المثل الاعلى ، اي من الله والحقيقة والمحبة والحرية والعدالة والمساواة » . (ص ١٤٢) .

واما في الفصول الثلاثة الاخيرة : « الثورة المنشودة في العلاقات المسيحية والاسلامية » و « ذكرى بدر : قيادة وتنظيم » و « ذكرى عاشوراء : استشهاد وخلق » فتتجلى البداية والغاية . التاريخ شيء مقيد محدود بوقائعه ، والروح تسمو على الحدود والقيود . وبما ان الدين بمختلف رسالاته وخصوصا المسيحية والاسلام ، شرع الله الذي يدعو للايمان به . والايمان بالله يدعو للايمان بكتبه المنزلة . والتوراة والقرآن تصوران الانسان صورة الله وخليفة له . وانطلاقا من ذلك ينبغي لكل تقي يؤمن بالله ان يواجه التحديات العصرية الملمدة ، بالتآزر مع اخيه المؤمن ، امسحيا كان ام مسلما . على المسيحيين والمسلمين ان يكونوا بمستوى هذا المقام الروحي السامي . لان امواج الالحاد ممتدة على شواطئ الوجود ، وما لم يفهم المؤمنون حقيقة ايمانهم وينطلقوا من روحانيتها ، فقد يجرفهم المد الالهادي الطافي . ومن اجدر من المسيحية والاسلام ، ويمثل ممتقوما نصف العالم ، بتفهم هذا التحدي .. والرد عليه بتطبيق الغايات التي من اجلها انبثقت الديانات ؟ ..

الانسان الصافي : دعوة والهام

هذا استعراض سريع لمعطيات الكتاب ، لا يفني القارئ في كثيرا عن قراءته . لان اروع ما به اسلوبه الخطابى المتحرك ، كانه امواج متدافعة تسلمك الموجة لاختها ، فلا تملك نفسك من الروعة والاندعاش، وربما الانخطاف لعوالم ينقلك اليها تأثيرا وايحاء .

فندي ان الكتاب بما يثه في الروح الانسانية من نجاوى روحية هامة تكرم الروح وتحلق بها في الاجواء اللامتناهية ، اكثر من ان يلخص ويحصى ما به من اراء وخواطر .

يشمر القارئ انه مع رائد فضاء فكري ، يطوف به في الافاق وفي نفسه ، فيدع نفسه حرا في الاجواء التي يحبها له المؤلف .

والمؤلف في اجوائه العقلانية ، يشير كثيرا من الملاحظات ، نسوق بعضا منها على سبيل المثال :

١ - الملاحظة الاولى :

يدعو المؤلف لحضارة انسانية واعية ، تستوعب مدلول الاسلام الجوهري ، ذلك المدلول المؤكد تصديق معطيات الحضارة الحديثة ، لما

صدر حديثا :

الحياة الحبر

للشاعر ابراهيم محمد نجا

مجموعة من قصائد الغزل الرفيع

منشورات دار الاداب

الإنسانية ، الى العالمين . العالمون الذين بعث محمد (ص) رحمة لهم جميعا ، ولم يبعث لبعض منهم دون الآخر .

هذا على الصعيد العام ، واما على الصعيد الديني ، فانه يلهم ايضا ، يوظف الفكر المؤمن ، مسيحيا كان ام مسلما ، على ما تضطرب به دنياه من صلاتات ، وما ترتطم به من متهاتات . فالمسيحي مدعو ، والمسلم مدعو لانقاذ السفينة ، لاختراع السفينة المنجية . ولا عاصم مسن امر الواقع المادي الجارح غير العقل .

ويلهم على الصعيد القومي . فالعرب اجدر بان يتبنوا الحضارة الحديثة . محمد عربي ، وكتابه الذي اعتمد على آياته في فهم الانسان وكونه ، جاء بلسان عربي مبین .

ويلهم على الصعيد المحلي . لبنان جنة هذا العالم الجوال في الافاق القصية ليرجع ابدأ اليها . لبنان ، لبنان ، يحبه فردوسا صغيرا ، لكنه صورة الفردوس الاكبر . «جمهورية» (مدينته الفاضلة) يتألف سكانها ، يتحابون ، يقدرون الانسان ، يعيشونه ، يكونون قسوة للعرب وللناس قاطبة ..

ويلهم على الصعيد الفردي . فالطلاب الذين يدرسون في الجامعات الاوروبية والشرقية والعربية مسئولون في رأيه عن مستقبل امتهم وعن مستقبل الإنسانية . الطالب في سن الدراسة طبع الخيال واسعه ، طري البال ، يتأثر ، يفعل ، يطلق ، تشد به الكلمة الى الله . يبكي ضارعا الى الله ان يمدده بالعقل الخارق والقدرة المعجزة ليكون المنقذ .

٣ - الملاحظة الثالثة :

عنوان الكتاب « الاسلام تجاه تحديات الحياة المصرية » وما تشير كلمة التحدي لاول وهلة من ايهام بان الاسلام عدو الحياة المصرية ، في حين ان الفحوى تثبت انه المبشر بها ، والمعرض لبلوغ ما بلغته وما ستبلغه ...

وبعض التسامح والتبريرات مثل تكلف العذر لمن يجهل ثقافة جاره المسلم اذا كان مسيحيا او العكس ، في حين يعرف ثقافة المسيحي حيث كان .. « بحجة عالية الدين وعموميته » (ص ١٦٤) .. اليسست العمومية شاملة للجار وثقافته ايا كان .. ؟
هذه امور يمكن مناقشتها ... ارجو ان يكون لي وقفة اخرى مع هذا الاثر الثير .

دمشق

أسعد علي



فارس الامل

للشاعر حسن فتح الباب

تضم هذه المجموعة ثلاثة واربعين تكوينا شعريا للفنان حسن فتح الباب . والتأمل في رحلته خلال هذه اللوحات يكاد يشم رائحة ارض النيل الحبيب ، ويرى صورة واضحة المعالم لمصر ، بمكوناتها الاساسية ، ويتعرف الى الانسان المصري بملامحه الظاهرية والباطنية ، بفته الشمعي ، وخياله ، واسطوره ، وحكاياه الصغيرة ، من خلال شاعرية رقرقة اصيلة وكبرى الصورة التشكيلية يوشحها نغم « بوليفوني » (متعدد الاصوات) تمتزج فيها الواقعية والتأثيرية والتجريدية والسيراليالية ، والفرغات والظلال والاصواء بريشة صناع .

والى جانب هذا كله ، فللشاعر موقف واضح من الحياة ومشاكل الانسان ، فهو فنان - ولا شك - منتم ، ولكنه انتماء انساني لا مذهبي ، فيه وعي ورحابة . فلو ان مادة التكوين الشعري لديه من طمي النيل واتسانه ، الا ان انطلاق حدود الرؤيا الباطنة عنده تهب التكوين في نهاية الامر شمولا .

ان الشاعر يوفق حينما يخرج من التجربة الذاتية ليسقط على التجربة العامة ، وذلك انه يتعمق المعاناة ، ويمثل التجربة ، ويحسن استخدام الاداة ، ومن ثم يصل الى افصاح كامل من خلال التكوين الشعري .

والسمة الواضحة وضوحا راسخا في كافة التكوينات الشعرية في المجموعة ، هي تمكن الشاعر من اسرار اللفظ ، وادراكه لجمالية التركيب وموسيقى الالفاظ الباطنية . ان موقف الشاعر من هذه الجزئية في التكوين موقف ملتزم ، لا يتهاون في اختيار لفظ حائسر ، شاذ ، او قاصر التعبير ، لا يمزج مركبا لفظيا فيه تارجح او ايهام ، بل هسو واع بادائه كل الوعي ، بينه وبين اسرارها . مناجاة وهمس ، يتناولها بتقدير وحب ، فيتبدل له مكنونها ، وتخلع على لوحاته بهاء وصفاء وعلى بنائه تماسكا وشموخا ، وهذه ميزة لا نجدتها الا في قلة نادرة من شعراء العربية الحديثين .

ان الشاعر في لوحاته الوطنية مثل فارس الامل ، واغنية للسيد العالي ، وراعيان من حلب ، وشهيد من الجزائر ، وفي لوحاته الملحمية كضابط في القرية ، ومجموعة لوحات الصيادين ، او في لوحاته التي تمثل طابع القصة المصرية القصيرة مثل القرية الصغير وشوارع المدينة ، وفي لوحاته الذاتية مثل قطرة حب وغيمة الخريف وفي ليلة عيد الميلاد وغيمة الربيع ، وفي لوحاته التي تمثل موقفا من الحياة مثل اغنية ريفية واغنية الى رائد الفضاء .. ان الشاعر في جميع لوحاته تقريبا لا يشغله المضمون عن التشكيل ، او تشغله الاداة عن براعة التعبير ، او تظفي الذهنية او التقريرية على توافق الخطوط والالوان ، ولا يشغله النغم بذاته عن تناسق الابعاد ، بل نحسه زينا هامسا يتألق مع تألق بقع اللون ، وينداح مع انسياب البؤرة اذ تتماوج داخل اللوحة في تراوج جميل .

ولنستمع مما الى الشاعر في نماذج قليلة من شعره على سبيل المثال ، حين يطلق قوسه على وتر قيثاره . ففي لوحة « فارس الامل »

المهداة الى البطل جمال عبد الناصر وهي من الشعر الوطني يقول :
انفاسهم مشبوبة الحنين ساعة السحر
والشمس تغمر العيون والشجر
وتنضح الجباه بالفرق
لا يعرفون زينة المدن
ويششقون طيب العبير من ندى الحقول
وفي المساء حين يرجعون
يكاد خطوهم يذوب من حنين
لضمة البنات والبنين
ويششد الارغول ...

وفي لوحة « دم على البحيرة » وهي من الشعر الملحمي يقول :
لا تهبط ادنى الجسر
لا تهبط
ما اشقى صيادا القى شبكه
في بركة دم
وتولى والصيد وفير
لكن الشبكة تنزف دم ...

وفي لوحة « الشيخ والقيثار » وهي من شعر القصة المصرية القصيرة يقول :
الارض لم تزل بهم تتور
اشربة ، موائد ، عطور
وخطوة الساقى الصغير لا تمل لا تتور
سيدتي ، ما شئت في يدك
المجد للجمال ، للربيع ، لك ...

وفي قصيدة « مدينتي اعياد حب » وهي من شعر المواقف يقول :
لا موت بعد اليوم
لا نار لا غبار لا دمار

لتنطلق مواكب العمال في شواطئ البحار
لتنجد منابع الانهار
ويولد ابن الارض من جديد ...

هذه التراكيب اللفظية المتناسكة ، التي تحس فيها ان اللفظ يرد الى وعي الشاعر في يسر ، انما تم عن ادراك تلقائي بجمال الكلمة او قوتها او نغمها بحيث تنسل الى خياله فتقع موقعا توافقيا معنسى وجرسا . ولا يستطيع التلقي هنا ان يفصل بين الوعي والتلوين والتنظيم داخل التكوين الشعري . ان المزج التشكيلي في المقطوعة الاخيرة مثلا ، بين النار والقيار والدمار والعمال على شواطئ البحار واتحاد منابع الانهار وميلاد ابن الارض من جديد ، فضلا عن انه مزج لهذه الكتل من الطبيعة الحية المتحركة وقد امتزجت في تنفيذه الاساليب الواقعية والتأثيرية والسيرالية ، الا ان النغم التابع من استخدام الاداة في انتقاء واع وانسياب تلقائي قد اكمل الالوان الصارخة والخطوط القوية المنطقية ، فتوحد بذلك النسيج واتضح جليا لعين المتلقي واستراح سمعه الى موسيقاه المناسبة المركبة .
وفوق ذلك فان هذا التكوين كله قد ضمه اطار متصور من الوعي يطوق المادة ولا يحد الخيال .

ومن السمات العامة ايضا في هذه المجموعة سمة المزج الانتقالي الجمالي ، وهي ايضا من السمات التي يكاد ينفرد بها شعر حسن فتح الباب ، وبها يمزج لوحة تشكيلية باخرى من طريق عنصر مشترك فيهما مع الانتقال من حالة وجدانية الى اخرى ومن موقف الى اخر باسلوب بارع . ومن ذلك على سبيل المثال لوحة « في ليلة عيد الميلاد » حيث يقول :

واجتاحتهم ذكرى الاحزان
اعصارا يقتلع القلب
وجدا اسرج كل دموع الويل
اطفا كل شموع الليل
اطفاها لم يبق سوى شجمعه
بين حنايا الصدر
قالوا من يحملها ، يشعلها
في اعلى اسوار القلعة
لتضيء لاقدام الفجر
ولتصهر صدا الاصفاذ
في ليلة عيد الميلاد ...

فهنا استخدم الشاعر « الشمعة » كاساس لهذا المزج الانتقالي في ابداع شعري مرهف .

ننتقل بعد ذلك من هذا التعميم الى التخصيص حسب مضمون كل مجموعة من اللوحات ، فنضرب المثال بوحدة من كل باقة لنرى ما فعل الشاعر . فمن قصائده الوطنية نلقي نظرة سريعة على قصيدة « فارس الامل » حيث يقول الشاعر قرب ختام اللوحة :

وغرد الموالم فوق موجة القلوب
يا ناصر العناه
يا قاهر الطفاه بالسواعد الشداد
تفجرت من شمبك المجيد
يا حلم الاجداد من قدم
يا واهب الحياة للقناه
ثم يقول :

يا نائرا من هوة الضياع للعرب
يرود قمة الصراع للحياه
يا مشمل النضال للابطال
يا فارس الامل

هنا مزج الشاعر بين البطل وشعبه اذ هو يقهر الطفاه بسواعدهم

الشديده ، ومن وجدانهم الصافي ومن خلال الموالي ، يتفنون به في فنونهم الشعبية بوصفه بطلا اسطوريا كان يراود احلامهم ، فهو فارس الامل .

فبالحب يتكلم الشاعر وليس بالمدح ، ان عبد الناصر في رأيه ملتقى لاحلام الابداء والاجداد ، وهم يحبونه لاسباب مقنعة ، فهو الذي رد الحياة الى القناه ، فاعادها شريانا نابضا الى كيان الوطن ، وهو الذي حارب بسواعدهم القوية وهو الذي ثار فاقال العرب من هوتهم . وعلى الارغول ينشد الشاعر حبه فيقول :

وينشد الارغول :
يا ليل طابت سهرة الصحاب
والشمل ضم الاهل والاحباب
والصفو عاد لليالي ... والقمر
يسيل في بيادر الحصاد
يا رائحين بلغوا السلام
للساعدين يرقبون مطلع الشروق
على ذوائب الجبل
والصامدين حول فارس الامل

هنا وبلسمات سريعة من ريشة متمكنة ، يترك لنا الشاعر تكوينا تشكيليا منقوما لسورة ريفية باسمه يظللها السلام ، وللصامدين حول فارس الامل يبدون كالظلال في خلفية اللوحة ، يطوقهم شعاع من اضواء الشروق يعثونه الى الصاعدين هناك يرقبون مطلع الشروق على ذوائب الجبال .

فما نراه في مقدمة اللوحة هو انعكاس ميلاد البطل على الحياة ، بينما في خلفية اللوحة وكتهوية بعيدة يتحرك الصاعدون والصامدون وفارس الامل .

وبهذه اللوحة الموحية واللوحة التي سبقتها في هذا التكوين يمهده الشاعر في تشويق لظهور البطل ، فتكاد تسمع طبولا خافتة تملو تدريجيا وترتفع بارتفاع حرارة الدراما خلال العمل حتى تبلغ اوجها حين يقول في وقفة قوية « يا واهب الحياة للقناه » ، ثم يهبط النغم قليلا ثم يعود ليرتفع تدريجيا مرة اخرى ليختم بوقفة قصيرة قوية بقوله « يا فارس الامل » ، وهنا تقفز صورة البطل التي اشتقنا الى رؤيتها - الى المقدمة .

فاذا سرنا بعد ذلك خطوة الى اللحمة في شعر حسن فتح الباب، نجد ان اللحمة صنعة متغلبة في لوحاته ، فحتى تلك التي لم يقصد الى اللحمة فيها تجد ولو سمة يسيرة من سمات الملاحم . وليس هنا مجال تطبيق ذلك على كافة لوحات المجموعة ، اذ يفتيق المقام به ، ولكننا سنعمد الى لوحة ملحمية واحدة من بينها هي ملحمة « ضابط في القرية » .

واحب ان اقرر بصفة عامة ، ان اللحمة عند شاعرنا ملحمة يظهر فيها طابع العصر واضحا ، كما انها ترتبط بموقفه المتلمي وبوطنيته ومصيرته ..

فالشاعر حين يتمثل الموقف الذاتي يتمثل من خلاله الموقف العام مباشرة دون اصطناع ، فلا نستطيع من ثم ان نفصل بينهما فسي اية جزئية ، وهو حين يضع نفسه في محك التجربة يكشف من خلال الذاتية عن صراع غائر في قلب الشعب ، وتنمو الدراما نموا طبيعيا نابعة من الصراع بين الذات وما حولها ، ويتسامى ذلك الصراع حتى يصبح الكل في واحد قطرة من الحياة الانسانية .

لا تزحم الطريق بالخطا
خطاك ظل طارق كتيب
وكلما مضيت هاربا من الصداق
لم انج من عيونهم تطوق الطريق
والف وجه ... الف عين
تقول يا غريب

لا تزحم الطريق بالخطا

يا أيها الغريب

بهذه الافتتاحية المتعددة النغم يبدأ الشاعر وقد حول النظره الاستنكارية الصارمة الصامته الى صوت آمر قاطع يصدر عن الف عين، يطوق الطريق ويسده على هذا الدخيل .

لقد وضع الشاعر منذ اللمسات الاولى في اللوحة صورة للمقاومة الشعبية التي هي في الحقيقة البطل الملحمي في هذا الكون الشعري والتي تومض من خلال بقع لونية منقومة على ابعاد متوازنة داخل اللوحة .

لكنهم عند الحصاد يرسلون لي

سنابل الوداد مثل حبة الخواذ

نقية كقطرة من المطر

وفي ليالي الصيف يزهو القمر

ويومض الثمر

وكالندى يرقرق الحديث حلقة السحر

كم شاقني الهوى لصحبة الرفاق

هنيهة في السامر الطروب

وكم رجعت في اهابي الكئيب

والف وجه .. الف عيد

تقول يا غريب

لا تزحم الطريق بالخطا

يا أيها الغريب

فالى جانب الجمالية الموشاة برقة اللفظ المحبوكة بترابط الاسلوب وقوته ، المنسوجة بالموسيقى التوافقية - الى جانب ذلك كله ، نقرأ صفحة من تاريخ مصر في محاربة الدخيل . فهؤلاء الفلاحون المصريون يهدون اليه اعز ما لديهم ، ولكنهم يقاطعون مقاطعة قاسية ، لا يدخلونه الى قلوبهم ولا الى مجتمعهم ، ويظل هكذا حبيس الوحدة . ومن ثم تصبح الهدية نوعا من الاذلال الصامت والعقاب النفسي الشديد . والمعروف تاريخيا عن الشعب المصري انه الشعب الذي اذا دخل اليه غريب معتد ، فاما ان يخرج حيث لا يستطيع البقاء ، واما ان يدوب وينتهي الى لا شيء . فالبطل الملحمي هنا هو الشعب المصري ممثلا في المقاومة الشعبية الجامعة . والدخيل في هذه الملحمة هو ممثل السلطان التركي او المستعمر او الاقطاع . والصراع هنا قائم بين هاتين القوتين المتصارعتين . وكل من يرتدي زي الدخيل يسمونه الغريب حتى ولو كان منهم فهو خارج عليهم منضم الى اعدائهم .

ورغم ان الذاتية في هذا التكوين الشعري قائمة في النموذج الذي عرضه الشاعر وهو الضابط المصري الذي يحس هذه الانعزالية وهذه المقاطعة احساسا نفسيا مدمرا فيقول :

ابي الذي مضى

ولم تشيع نعشه حشود

خطاه ما تزال بينكم على الطريق

وعينه تقلب السماء

لتضمن النماء للبدور

والزاد للصفار

الا انه من خلال هذه الذاتية وهذا التوسل ينطلق السى جموع الناس يتساءل ، ثم يجد نفسه وقد خاض يفتش عن ذلك المجهول الذي يعزله عن الجماهير فيصطدم بالبطل الاسطوري حيا منذ الازل في نظرة صارمة تطوق الطريق .

وعلى هذا النسق المنفرد الذي عثر عليه الشاعر خلال معاناته للوصول الى تكوين فني ناضج ، يمضي الشاعر في باقي ملحنيته يختار لها ابطلا مصريين لحما ودما ولكنهم في وهم الشاعر وفي تصويره الموفق اسطوريون .

اما القصة المصرية القصيرة عند حسن فتح الباب ، فهي قصة

جياشة تبدأ بؤرة من ضياء ثم لا تلبث ان تنتشر فأذا هي تضم جماهير الشعب بأسلوب رقيق شائق مناسب خال من الافتعال . ففي قصيدة (المرقى الصغير) يلتقي الشاعر كل صباح بطلعته ، يرشق الطريق لكن بلا عيون ، والقرية العذراء تسمع الخطا ولا ترى العيون ، وينثر الضياء من ليل قريته الطويل بلا عيون . وفي الصباح حين ينطلق البحر والظوفان من اقدام جامدة جافية صفوف ، تشدها لارضها الشقوق والرياح ، ويبدأ الكفاح الرهيب من اجل لقمة العيش ، يرفع الصبي صوته النحيل ويبدأ الترتيل ، وربما تكشف مغالق الصدور ، ويسكب الوجه الكليل ومضتيه لكن بلا عيون . وفي قرية الشاعر ربما يقلب الناس في التراب ، باحثين عن جوهر كريم ، فيبخل التراب ، لكنهم لا يدخلون بالعيون ، هدية للفاق كي ينير ، للارض كي تمور ، للنهر للاقدام كي تسيرو . فهنا يربط الشاعر بين مأساة الطفل الضريف في قريته ومأساة الناس الذين يحاولون استخلاص البذور من اظافر التراب ، وذلك الطفل يرسل اليهم بصوته النحيل فيضاً من النور الالهي يدعونهم على كشف مغالبي انفسهم . وهذا الطفل نموذج لاطفال كثيرين في الريف يحول العمى بينهم وبين العمل . ولكن هذا الشعب الجائع المكافح المثابر يفسح لهم مجالا في صدره وبهيم الحياة . ولئن يعل الناس طفلا كهذا فهو امر هين بالنسبة لافراده الذين يهبون نور عيونهم لتشرق الحياة حولهم . والقصيدة غنية بالجمالية جياشة بالاحساس والحب للنموذج البشري الذي ينبض خلال النسيج المتناسك للاقصوة الشعرية . كما ان الاسلوب التأثري الذي استعمل في تصوير جماهير الكادحين والعنصر الواقعي الذي استعمل في صورة المرقى الصغير يتداخلان في عملية مزج انتقالي جمالي خلال الحركة الدرامية ، ويزيد التكوين التشكيلي بهاء استعمال كلمتي « بلا عيون » استعمالا نغميا تشكليا خاصا يعمل طابع التجريد ولكن بوحي كامل يستخلص جوهر الجمال التجريدي .

فاذا دخلنا الى مجال الذات ، وعاصرنا الشاعر وهو يضم جوانحه على مأساته الخاصة ، فهي غالبا لا تكون مأساة وجود وعدم ، او مأساة الانسان المأزوم تجاه غموض الكون واسراره ، او مأساة الخوف من الشر الفامض ، وانما هو - كفنان منتم - ذو موقف واضح ، فان ازمة ذاته تنعكس ولا غموض فيها او تعميم ، بل هي ازمة الانسان الذي يؤمن بانها مع مأساة غيره من البشر لا تجد طريقا الى الحل الا بصورة جماعية .

وتأسيسا على فلسفة الشاعر هذه ، نراه يسرع الى اشراك صديقه او حبيبه في مأساته اشراكا فعليا ، ثم لا يلبث ان ينطلق من دائرته المغلقة الى رحابة الفضاء ليلتقي بالبشر فتدوب احزانه في احزانهم وتفنى ذاته في ذواتهم لتفمره قطرة حب :

لم يعرفني الاصحاب

بالاعين بين ضلوعي

حسرت موجتهم ظل دموعي

قالوا ما اشقى الطائر

في شرك الظلمات

الى ان يقول :

واختلجت اجفاني عن دمه

لم يلمحها الاصحاب

وانطفات شمعه

يا ويلي

كانت اخر شمعه

تسكب في قلبي الاشراق

تومض للاحباب .

وهكذا فان الشاعر يمزج دائما بين ذاته وبين الآخرين ، وتؤكد الخطوط النهائية في هذه اللوحة هذا التلاقي والامتزاج بما يجعل شعر الذات عند حسن فتح الباب منطلقا الى رحابة يتخذ فيها موقفا انسانيا ويصبح قطرة متميزة غير انها سابحة في محيط الحياة :

مجموعة الخزرجي لون واحد من الشعر .. هو الشعر الذاتي الوجداني (١) وقد يوهم بعضه القارئ .. فيحسبه شعرا صوفيا .. كما واهم الاستاذ سامي الكيالي .. لكني ما زلت مصرا على ان شعر التصوف عند عانكة الخزرجي خرافة ليس لها الا الخيال السرابي ماوى .. فما لدى الشاعرة سوى الفزل الفارق في اوهام القرام واحلامه الهائمة .. الفزل بذات مجسدة الفزل بفتى الاحلام .. والمواطف المشبوبة اذا ما ارتطمت في جدار اليأس الاصم تصبح هشيما تذروه الرياح .. ولكنها لم تسم عند الشاعرة عن الطمع الى التجربة الحياتية ثانية .. او نالثة .. واكبر ظني انها في سبيلها الى التصوف .. لكنها الان طبخة غير ناضجة .. فمتى صدرت عواطفها شعاعا شفافا عن نفس تقول وتفعل وعن قلب خالص من شوائب زخارف الحياة الدنيا وتوافهها الخالبة .. ترقى سلم العبودية .. اما هي الان فلا ..

لذا نحن نرى هذا اللون من شعرها جاريا مجرى النظم الريك المضطرب .. قد تفكرت به الشاعرة على اشعار القدماء تسرق منها ما تخفى سرقة وما لا تخفى .. كما سنبين بعد ..

اما شعر الخزرجي الوجداني فهو مشبوب العواطف رقيق المشاعر حسن الاداء وان بدا متعشرا في بعض احايينه .. وهو الشعر الصادق في المجموعة التي بين ايدينا .. ويلمح قارئ المجموعة رواية حب خائب تخفى مستترة آنا وتبدو معالمها اوانا .. ثم تتلاشى فسي كهوف اليأس المغممة في النهاية .. فهي تتوحد الى الحبيب وتفديه الف مرة وتخضع امامه ضارعة خائفة هذا الهجر المخيف .. اسمعها تقول :

تفديك روحي الف مره لله بعدك مما امره
انسي اكاد اجن فيك فهل اليك اليوم نظره
انسي ليفزعني الفراق واتقي في الحب شره
وتتحرق الى العودة لدفئه فتلقي هذا الاستفهام المرير :

كيف السبيل وبيننا قدير يهاب القلب امره
ومتى نعود متى اراك وملتقي في الله مره (٢)
فهو تحرق للعودة واشفاق من طول الفراق .. وان كان البيت الاخير يبدو مستترا اذ لا تريد في عجزه الا (ولتقي في العمر مرة) :
وتكثر من ذكر الصدود والهجر وهي تجارب عانتها الشاعرة وتعاينها .. اسمع قولها :

حمل من يرح الهوى اشده وعود الصدود حتى اعتادا
واسرفوا في ظلمه فحرموا عليه ان يشكون الهوى فازدادا (٣)
ويتردد هذا السؤال الملهوف على لسانها :

ساموت من لهف عليك واجرتاه فمن اليك
كيف السبيل الى لقاءك فارتوي من ناظريك
اترى يساعفني الزمان تراه يشفع لي لديك (٤)
وتثقل خاطرها الاحلام وتظل تملأ افقها وتمثل لها بكل سبيل ثم تتراءى لها اطيفا فما تلبث لحظة حتى تتلاشى في ضباب حرمانها ..
الم رقيقا طيفه مثل طيبه وحييا ولم يلبث فادج مضعنا
فما اقمرا لقلبا على شحط النوى فيا ليتهم ابقوا ويا لبت اننا! (٥)
وتنام على ياس وتستيقظ على مرارة فما تملك الا الدموع عليها
تخفف بها من لوعتها وتطفئ نارها :

بكيك على نفسي وحق لي البكاء وهل غير نفسي بالبكاء جدير
آدنو ولا لقايا ؟ وانأى ولا قلى ؟ فيا ويح هذا الدهر كيف يدور (٦)
وترجع الى نفسها تدفعها الى التشفع بكل وسيلة والتوسل اليه

- (١) نستثنى من ذلك قصيدة واحدة هي (لقاء الاحباب) فهي تشبه قصيدة (بغداد) في انفاس السحر تبدو غريبة في المجموعة بل تكاد تتوارى خجلا وقد ضاعت بين القصيدتين القصيدة النسبي قائلها في « مهرجان الكندي » الذي انعقد في بغداد . (٢) ص ٢٧ (٤) ص ٦٥ (٣) ص ٤٦ (٥) ص ٥٦ (٦) ص ٧٢

يا للروعه

هذي انت تلوحين
كرة في الزرقة توهج
قلبا جوايا يتهدج
لا زما ، لا قيذا ، لا ابعاد
في شرفات الفلك الدوار
وسناك الخاطف للابصار
يطرق قلبي ، يسبي لبي

وكما هو واضح يتبين حب الشاعر للحياة وايمانه بها وبالقيم التي توحد البشرية في قلب واحد هو الارض الام بحيث يصبح الانسان متحررا من كل ما يعوق انطلاقه نحو الاندماج في الكل . وهنا تسدو لمحة من تفكير وجودي مندمج في تفكير انساني تؤكد موقف الشاعر المنتمي انتماء انسانيا لا مذهبيا :

ردت غربتهم رحلة جاجارين
والنفت في اسمية عذبه
ايدي العشاق
وتلاقت اشواق
حري تنشد قطره
قطرة حب
في عيد الانسان الصاعد
يرفع اعلام النصر

ونختم هذه اللوحة السريعة التي فضيناها خلال هذه المجموعة الجياشة من الشعر العربي الجاد لنخلص الى رأي مؤكد هو ان هذه اللوحات الفنية الجميلة قد اثرت شعرنا العربي وازادت اليه ابعادا جديدة في التكوين والاداء بالصورة والنغم .

احمد لطفي عبد الفتاح

القاهرة



لآء القمر

شعر الدكتور عائكة الخزرجي

دار مطابع الشعب - القاهرة - ٧٧ صفحة من القطع الصغير

ونلتقي مرة اخرى على صفحات « الاداب » الفراء مع الدكتورة عائكة الخزرجي في مجموعتها الشعرية الجديدة « لآء القمر » بعد ان قلنا كلمتنا في مجموعتها السابقة « انفاس السحر » .. وقد كان املنا في الشاعرة ان تصفو بعد تلك الرحلة المقلقة المضطربة .. وقد سكنت في صدرها نفسان - كما يقول « غوته » على لسان « فاوست » - نفسان تخالف تبارهما فاحدهما يجذبها نحو السماء والاخر يشدها الى الارض .. وهي تطمح الى الاول ولكنها تعيش مع الثاني وتشعر كما شاء وتتصرف كما اراد .. وان تعلق احلامها باوهام الخيال الصوفي .. وقبل ان ندخل في نقد المجموعة نود ان نقول كلمة في مقدمتها وكانها الاستاذ احمد حسن الزيات اذ انه لم يقل شيئا فيما بين يديه من شعر الشاعرة .. وانما راح يسوق حديثه ويتشعب به في شعرها السابق وفي لقاءاته .. لكنه اعتراف لا تخفى بسمته الخادعة على المتأمل فهو يقطر مجاملة وينصح محاباة .. وما انزه الادب الحق والفن الخالص عن المجاملة والمحاباة ..

بكل شفيع فلم تنفع الوسيلة ولا اجدى الشفيع :

قد بذلنا كل غزال هينا بين يديه
فتستسلم للباس .. وتناى حين ترى هوانها وتحس بذلها :
ساناى ساذهب لا رجسمة ترجى لحي ولا اي عوده
وماذا عليه اذا ما ذهبت ؟ واهون شيء اراني عنده (٧)

★ ● ★

والشاعرة بادية التائر بعلية بنت المهدي .. اخذت عنها الكثير
وتوكت على عواطفها وتجاربها الشعورية .. بل اكثر شعرها الوجداني
- وهو خير ما نظمت - عيال على شعر عليية بنت المهدي . ذلك بالاضافة
الى ما اخذت من غيرها من الشعراء الفزليين والعباس بن الاحنف في
مقدماتهم ..

ونحن اذا قرانا لعلية بنت المهدي شعرا نهتز لما فيه من روعة الفن
وصدق التجربة ولهييب العاطفة اما صاحبة هذه المجموعة فما فني
شعرها روعة الفن ولا جمال الشعر فما هي سوى اصداق خاوية ..
فانت اذا قرأتها تجد هذا البرود خصوصا فيما تكلفت فيه مشاعر
التصوفين وسبحانهم .. اقرأ القصائد : « الله » « احبه » « آمنت
بالحب » « احبك » « آي جمال » .. تجدها ركيكة بادية التكلف مثقلة
المشاعر ببركाम من المحسنات غارقة بالتكرار المل في قصيدة « الله »
كم كررت « ويا من اليه فدا يرجعون » على انه تعبير لا ماء فيه وهم
اقتبسست من الايات القرآنية وقد بدت دررا بين احجار صبعثرة .. وهذا
نموذج للفارسي من هذه القصيدة الطويلة .. فسجد معانيها حية من
الفاظها والفاظها متوارية عن معانيها :

وجارت باحكامها الاقوياء فسيم الضعيف عذابا وهون
ولم يبط من مالك الاغنياء وراحوا على شحهم يحرصون
ولم يبق في الناس معنى الحياء فامسوا بانامهم يفخرون
وضجت مواخيرهم بالحياة وباتت محاريبهم في سكون
عبادك يا رب ضلوا السبيل فاين الدليل عسى يهتدون (٨)
وتستمر القصيدة في هذه المعاني المتذلة والاسلوب الركيك ولا
اعتقد ان هذا النظم يصعب على المتدئين في قول الشعر ..
وقارىء قصيدة « تحية » يثبت قولنا في خرافة شعر التصوف
عند الشاعرة فهي تكشف عن زيف هذه العواطف المصطنعة وبهرجها
الواهم اسمها نقول :

اهواك اهوى الحسن اهوى الله في خلق جديد
في آية رقراقة القسمات مشرقة الخدود
هذا فؤادي لم يحسد عن عهد حبك او قصيدي

قسما بمن قسم الجبال بوجنتيك بلا حدود
بالسحر فني عينيك فسي شفتيك بالدر النضيد
اني احبك سيدي اوبعد هذا من مزيد (٩)

- ٢ -

في المجموعة على صفرها ما يستنرخ ضمير القارىء ويدفع بالناقد
للتنبه عليه .. ففيها اشطر تكاد تهرب الي اصحابها فهي تصرخ بوجه
الناقد شاكية ما لحق بها من جور الشاعرة .. ومن الغريب ان يحدث
هذا عند شاعرتنا وهي معدودة من فضليات شواعر العصر الحديث . ومع
هذا فقد سظت عاتكة على المتنبى في قولها (ص ٣٤) :

وهل يرد علي الفاتت الاسف

والمتنبى يقول :

فما يدوم سرور ما سررت به ولا يرد عليك الفاتت الحزن
وقولها (ص ٣٣) :

حديثنا الصمت الا انه كلم

والمتنبى يقول :

هذا عتابك الا انه مقه قد ضمن اللفظ الا انه كلم
وقولها (ص ٦٥) :

كيف السبيل الى لقاك فارتوي من ناظريك

والشاعر القديم يقول :

يا من هواه اعزه واذلنسي كيف السبيل الي وصالك دلني
ثم هذا الاعتماد على اشعار عليية بنت المهدي يضعف شخصية
الشاعرة ويلقي عليها ظللا باهتة باردة ..

ولا تخلو المجموعة على صفرها من اغلاط في النحو وعثرات في
الوزن ففي قولها (ص ٣٩) :

فدى لمينيك غينسي غير ان بها اراك يا فتنة جلت عن الفتن
غلط في النحو لانها لم تذكر اسم (ان) وهي حرف مشبه بالفعل
مع العلم انه لا يجوز ان يأتي شبه جملة او فعلا .

وفي قولها (ص ٦٩) :

جمع الله بين جنبيك من العرب كراما نبنا وفرعا واصملا
عشرة عروضية فهو لا يخرج الا على لغة شاذة لا تذكرها سوى كتب
النحو القديمة وهي عدم اظهار نون (من) الجارة في النطق .. ولا احسب
ان الشاعرة فكرت بها حين قالت البيت ..
هذا واطيب تمنياتنا للشاعرة .

زهير غازي زاهد

مدرس اللغة العربية في اعدادية النجف - العراق

(٩) ص ٥٢

(٨) ص ٢٩

(٧) ص ٧٧

دَوْرُ الْعَرَبِ

فِي نَيْكُونِ الْفِكْرِ الْأُورُوبِيِّ

بقلم الدكتور عبد الرحمن بدوي

يستعرض هذا الكتاب الهام اثر العرب في تكوين الحضارة الاوربية في العصور الوسطى ، فيتحدث
عن دور العرب في الشعر والفكر العلمي وتكوين الفلسفة والمعارف والموسيقى والعمارة في اوربا ، ويلقي ضوءا
جديدا على التأثير العربي العظيم في القرون الوسطى .

الثنى ٣٥٠ ق . ل

صدر حديثا عن دار الاداب